قمة دلتا النيل

وتغيير موضعها منذ أقدم العصور البشرية حتى الوقت الحاضر

للدكتور ابراهيم احمد رزقانه

تكوين الدلتا:

لم يأخذ سطح مصر في الظهور فوق صفحة الماء الا فى أواخر الزمن الجيولوجى الثاني واستمرت حركة الارتفاع هذه خلال الزمن الثالث فى عصري الايوسين والأوليجوسين حتى أصبح ساحلها الشمالي في العصر الاخير يمتد في المنطقة المحصورة بين الفيوم والقاهرة. ولم يكن نهر النيل بشكله الحالي قد تكون بعد ولكن كان هناك نهر كبير يجرى نحو الشمال حتى يلتقى بالساحل الأوليجوسيني شمال الفيوم مباشرة وما زالت آثار مجرى هذ النهر واضحة الى الغرب من مجرى النيل الحالي حيث يطلق عليه الجيولوجيون(١) اسم «جد النيل» أو «بحر بلاماء» (انظر شكل ١)

فاذا انتقلنا الى عصر الميوسين نجد أن توزيع تكويناته يدل على انه فى القسم الأول من هذا العصر انخفض شمال مصر بحيث تراجع خط الساحل نحو الجنوب عما كان عليه فى العصر السابق ، ولكن فى القسم الاخير من نفس العصر تنعكس الحركة وترتفع الارض ويوجد لأول مرة نهر النيل الحالي الذي أخذ في التقدم شمالا — كلما زاد ارتفاع الارض وتقهقر البحر — ناحتا واديه العظيم خلال صخور العصور السابقة.

فلما جاء عصر البليوسين ارتفع مستوى البحر من جديد حتى وصل مستواه الى ١٨٠ فوق مستواه الحالي وتراجع خط الساحل تبعا لذلك نحو الجنوب حتى

(1) J. De Morgan, *Recherches sur Les Origines de l'Egypte. L'Age de* La Pierre et Les Métaux. Fig. 3. Paris 1896.

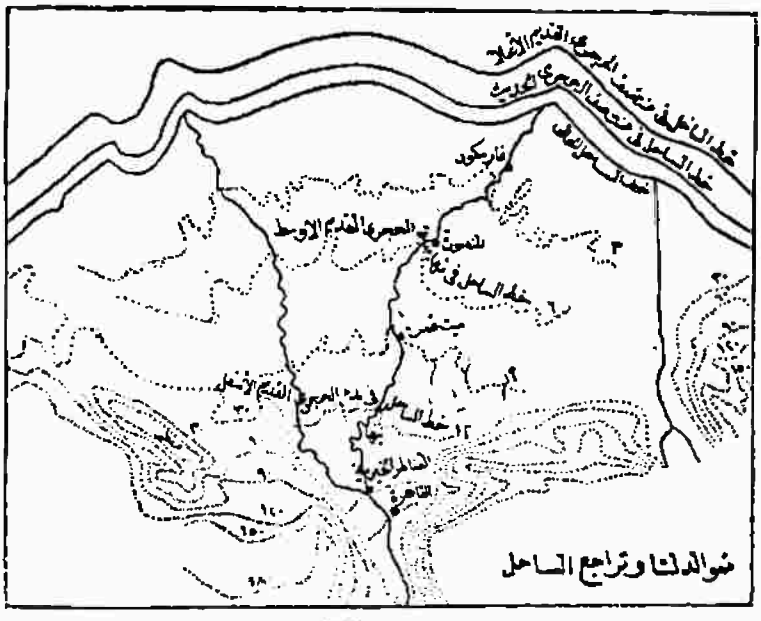

شكل ■ (٢)

وصل الى عرض القاهرة وتحول جزء كبير من وادي النيل الى خليج بحري(١) غير أن هذا الخليج لم يلبث أن امتلأ بالحصباء والرمال التي جلبتها المجاري المائية المنحدرة من الهضاب المحيطة بهذا الوادي ، ثم نجد ساحل البحر يتقدم نحو الشمال نتيجة لارتفاع الارض فى القسم الاخير من هذا العصر ، وكلما انحسر البحر عن منطقة تقدم النيل فيها بواديه وأخذ يلقي فى البحر كميات كبيرة من الحصباء والرمال انتشرت على شكل دلتا.

ولما بدأ عصر البليستوسين (منذ نصف مليون سنة تقريبا) كان مستوى البحر المستمر في الانخفاض ــ مازال أعلا من مستوي الارض بمقدار مائة مترعنه في الوقت الحاضر وكانت أرض الدلتا مازالت مغمورة بمياهه ولكنها أخذت في

(1) W. F. Hume and O. H. Little, *Raised Beaches and Terraces of Egypt* in Report of the Commission of Pliocene and Pleistocene Terraces, Union Geographique Internationale p. 11, 1928.

الظهور فوق صفحة الماء شيئا فشيئا بسبب استمرار انخفاض البحر وبفضل ما كان يلقيه النيل فيه من رواسب الحصباء والرمال وبدأ نموها من الجنوب بطبيعة الحال حتى كانت فى أواخر هذا العصر قد كسبت علي حساب البحر تسعين كيلو مترا شمال عرض القاهرة . ويقابل هذه الفترة من العصور البشرية العصر الحجرى القديم الاوسط (منذ ٤٠ ألف سنة تقريبا)

فأذا ما انتقلنا الي العصر الجيولوجى الحديث وهو الذى يكون العشرين الف سنة الاخيرة منذ نهاية البليستوسين حتي الوقت الحاضر نجد أن انخفاض البحر مازال مستمراً حتى وصل أقصى انخفاضه فى العصر الحجرى القديم الاعلى (سنة ١٠٫٠٠٠ ق. م. تقريبا) فكان مستواه على عمق ٤٣ مترا تحت مستوى البحر الحالى ونتج عن ذلك تمام تكوين الدلتا بشكلها الحالى بل وتقدم حدها الشمالى بمقدار ١١ كم شمال الحد الحالى وبذلك كانت الاراضى الغارقة حاليا على طول ساحل مصر الشمالى عبارة عن أرض جافة صالحة لسكنى الانسان . ثم بعد هذا التاريخ تنعكس الحركة ويأخذ مستوى البحر فى الارتفاع حتى اصبح فى منتصف العصر الحجري الحديث (سنة ٦٫٠٠٠ ق. م. تقريبا) علي مستوي ثمانية أمتار فقط تحت المستوي الحالى وبذلك أصبح حد الدلتا الشمالى علي بعد ثلاثة كيلومترات تقريبا شمال الساحل الحالى (١). ثم باستمرار حركة ارتفاع البحر اتخذ خط الساحل موضعه الحالى (انظر شكلي ٣،٢)

ويري الامير عمر طوسون (٢) أن تراجع ساحل البحر — أو نمو الدلتا بمعني آخر — تم على المراحل الآتية :

(1) John Ball, *Contributions to the Geography of Egypt*, Cairo 1939 pp. 31, 32, 39 and plate 8.

(2) Omar Toussoun, *Mémoire sur L'Histoire du Nil*, t. 3 1925 planche 22.

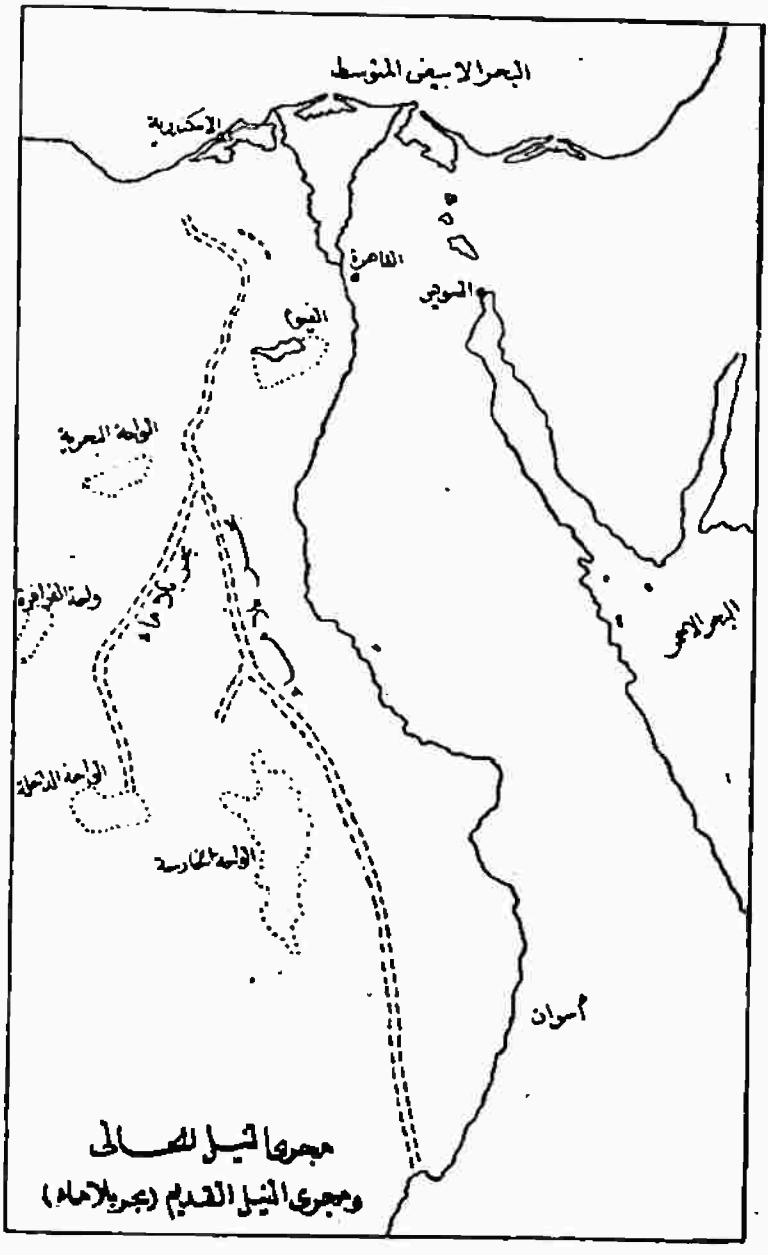
البحر الابيض المتوسط
الاسكندرية
القاهرة
السويس
الفيوم
الواحة البحرية
واحة الفرافرة
الواحة الداخلة
الواحة الخارجة
البحر الاحمر
أسوان
مجرى النيل الحالى
ومجرى النيل القديم (بحر بلاماء)

شكل ■ (١)

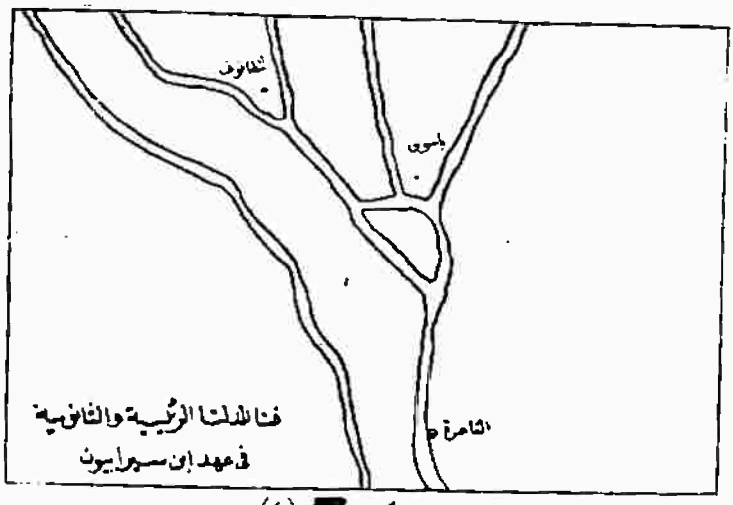

شكل ■ (٤)

الساحل الذى ارتفاعه ١٨ مترا (خط عرض القاهرة تقريبا) تكون سنة ١١٩٣٥ ق.م.

»	١٥	»	(» « القناطر الخيرية »)	»	٩٦٢٥ »
»	١٢	»	(» » بنهـا »)	»	٧٣١٥ »
»	٩	»	(» « ميت غمر »)	»	٥٠٠٥ »
»	٦	»	(» « المنصورة »)	»	٣٦٩٥ »
»	٣	»	(» « فارسكور »)	»	٣٨٥ »

ولكن هذه الارقام لا تتفق مع الوثائق والمراجع التاريخية القديمة فنصوص مقبرة إمتن التي ترجع لاواخر الاسرة الفرعونية الثالثة أو أوائل الاسرة الرابعة (حوالي سنة ٣٠٠٠ ق.م.) تذكر مديرية خويت فى النص الآتي(١): أون عنج مر خويت إم يخت ساب حر سقر خويت

(1) Depsins (C.R.), *Denkmäler aus Aegypten und Aethiopien*, Zweite Abtheilung, Denkmäler des Alten Reichs, Blatt S.

ويذكر هذا النص أن المدعو إمتن كان مدير لمديرية خويت ولما كان موقع خويس عاصمة هذه المديرية كان فى سخا بالقرب من كفر الشيخ أى أنه كان يشغل منطقة محصورة بين الخطين الرابع والخامس من خطوط الارتفاعات المتساوية فان هذا يدل على أن هذه المنطقة كانت من اليابس فى ذلك التاريخ ولم تكن مغمورة بالماء كما يفرض الجدول السابق.

كما أن المؤرخ هيرودوت الذى مات سنة ٤٢٥ ق.م. يحدثنا عن المدن القديمة بوتو وسايس وتانيس التي ما كانت لتوجد لو صحت الأرقام الواردة بالجدول لأن أماكنها بمقتضاه لم تكن قد تحولت الى يابس بعد . فالوجود التاريخى لهذه المدن دليل قطعى على عدم صحة هذه الارقام . وكذلك قدر هيرودوت(١) المسافة بين هليوبوليس وساحل البحر بألف وخمسمائة ستاد (٢٨٧ كم) وهو رقم يزيد على المسافة الحالية بين القاهرة وساحل البحر الابيض المتوسط على طول فرع دمياط أو فرع رشيد فمهما كان الاتجاه الذى قاس فيه هيرودوت مسافته فان الرقم الذي ذكره يدل على أن ساحل البحر فى عهده لم يكن جنوب خط الساحل الحالي.

ومن هذه الادلة مجتمعة يمكن القول أن الدلتا قد تم تكوينها قبل العصر التاريخى وأنه لم تحدث خلال هذ العصر تغيرات ملحوظة فى موضع خط الساحل الشمالي.

---

(1) Herodotus II, 7.

تطور قمة الدلتا:

اذا كانت الادلة الجيولوجية والاثرية والتاريخية تشير الى أن حدود الدلتا الشمالية قد تعرضت لعده ذبذبات قبل العصر التاريخي وانها لم تغير موضعها خلال هذا العصر فان الامر ليس كذلك فيما يختص بقمة الدلتا ، إذ تشير نفس الادلة الى انها في تغير مستمر منذ تكونها حتى الوقت الحاضر .

ونحن اذا نظرنا الى خريطة طبيعية للمنطقة المحصورة بين حلوان والقاهرة وجدنا أن الهضبة الشرقية تحتضن النيل فى هذه المنطقة وتشرف عليه بواسطة سلسلة من التلال هى من الجنوب للشمال جبل حوف وجبل طره وجبل المقطم فلم تسمح له هذه المرتفعات بتكوين سهل فيضى كما لم تسمح له بالتفرع فى الاتجاه الشرقى على طول امتداده بين حلوان ومصر العتيقة ثم بمجرد ان تبتعد عنه الهضبة فى هذا المكان الاخير نجده يمد له ذارعا نحو الشمال الشرقى ، وأما في غرب النهر فى نفس المنطقة فنجد الهضبة الغربية بعيدة عن النهر ويزداد بعدها عنه كلما اتجهنا شمالا ولهذا استطاع أن يكون سهلا فيضيا متسعا ومن الجائز أنه استطاع أن يمد له ذراعا فى الاتجاه الشمالى الغربى يخرج منه عند منفيس . وعلي أي فان هذه المنطقة — من الوجهة الطبيعية — أنسب مكان لتكون قمة الدلتا الاولى اذ تشرف التلال عليها من الشرق والغرب ثم تأخذ التلال في الابتعاد عن النهر كلما سرنا شمالا حتى يتحول المنظر الطبيعي الى سهول متسعة أشبه شيء بالبوابات التى تؤدى الى ميدان فسيح .

ومع أنه ليس لدينا — من الوجهة الاثرية — نصوص صريحه من اوائل العصر الفرعونى تعين لنا موضع قمة الدلتا في تلك الفترة ألا أننا نستطيع أن نستنتج من التقسيم الاداري رأى الفراعنة فى موضع هذه القمة التي كانت بمثابة الفاصل بين الدلتا والصعيد فقد جعل الفراعنة من منفيس حاضرة القسم الادارى

الاول من اقسام مصر السفلي وأشاروا اليها إنب حج أي الحائط الابيض الذي كان يفصل بين الدلتا والصعيد ويقع عند طرف كل منهما لحماية أهل الصعيد من اغارات أهل الدلتا ومعني هذا أن ماتلا منفيس شمالا كان معتبرا — فى رأى الفراعنة قبيل قيام الحكم الملكي — من الدلتا . وكان قلب منفيس وحيها الرئيسي في موضع قرية ميت رهنية الحالية أي جنوب رأس الدلتا الحالى بحوالى ثلاثين كيلو مترا ، هذا فى غرب النهر وأما في شرقه فقد اعتبر الفراعنة منطقة المعصرة وطره الحالية قسما اداريا من اقسام شرق الدلتا وأطلقو عليه اسم 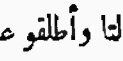 (١) ولاشك ان التقسيم الادارى كان صدي للحالة الطبيعية القائمة فى عهده أوقبله ولهذا يمكن القول أن رأس الدلتا كان فى بدأ الحكم الملكي المصري أو قبله بقليل فى منطقة منفيس وطره وأن تفرع النيل كان يبدأ من هذا المكان .

فاذا ما انتقلنا الى الدولة الحديثة نجد نصوصا صريحة تعين موضع قمة الدلتا مثل النص الآتى الذى أورده برجسن فى قاموسه (٢)

---

(١) قرأ زيتا اسم هذا الاقليم عيسن وقال انه هو اقليم 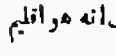 الذى يشغل المنطقة الجبلية بمحاجر المعصرة وطره على الشاطيء الايمن للنهر تجاه منفيس وقد ورد ذكره فى مقبرة الملك ساحورع من الاسرة الخامسة في أبوصير . وكان يعين الحدود الفاصلة بين منطقتى نفوذ الالهين حورس وست أي بين مصر العليا ومصر السفلي . وقد اعتبر هذا الاقليم فى العصر اليوناني مديرية مستقلة من مديريات الوجه البحرى كتب اسمها بهذا الشكل كما ورد اسم عاصمتها فى الصيغ 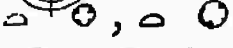 [انظر Sethe, dans Bodchardt, Sahure, II, p. 131 et III, pl. 72; Dümichen, Geog. Inschr I, pl. 66, n° 36; Gauthier, Dictionnaire des Noms Géographiques contenus dans Les textes Hiéroglyphiques t. I. p. 78].

(2) Brugsch, *Dictionnaire Géog. de l'Ancienne Egypte*, Leipsig 1879 p. 622.

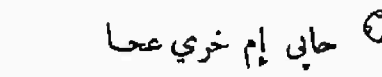

حابى إم خري عحا

أى النيل الذى ينبع عندي خري عحا

وكذلك جاء فى نفس القاموس النص الآتى :

ومعني النص « هذه المنطقة التى هى خرى عحا تدفع النيل نحو مدينة جدجد (بوصير) وتجعل النيل يأتى وتقيسه بالذراع لكي توصله الى كل المصبات »

ولا يمكن أن تفسر هذه النصوص الا علي ان مدينة خرى عحا (مصر العتيقة الحالية) كانت تقع عند قمة الدلتا حيث كان ينبع عندها من النيل الاصلى أحد فروعه الرئيسية وهو فرع دمياط الحالى الذي كانت تقع عليه مدينة جدجد(بوصير جنوب سمنود بقليل).

ثم فى أواخر الحكم الملكي المصري نجد المؤرخ اليوناني هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) يشير اشارة دقيقة الى موضع قمة الدلتا فى عهده فيقول (١)

Μέχρι μὲν Κερκασώρου πόλιος ῥέει εἰς ἐὼν ὁ Νεῖλος τὸ δὲ ἀπὸ ταύτης τῆς πόλιος σχίζεται τριφασίας ὁδούς, καὶ ἡ μεν πρὸς ἠῶ τραπέται

ومعني النص « يجري النيل الآن حتى مدينة كركاسور في مجري واحد ولكنه بعد ذلك يتفرع الى ثلاثة فروع »

فأين كانت تقع مدينة كركاسور التي جعلها هيرودوت قمة للدلتا ومكانا يتفرع النيل عنده الى فروعه الرئيسية ؟

(1) Herodotus, 2. 17.

لم يعين لنا هيرودوت موضع هذه المدينة ولكن سترابون الذى كتب بعد هيرودوت بأربعة قرون يعين لنا موضعها بالدقة فيقول(١)

Ἐντεῦθεν δὴ ὁ Νεῖλός ἐστιν ὁ ὑπὲρ τοῦ Δέλτα· τούτου δὲ τὰ μὲν δεξιὰ καλοῦσι Λιβύην ἀναπλέοντι, ὥσπερ καὶ τὰ περὶ τὴν Ἀλεξάνδρειαν καὶ τὴν Μαρεῶτιν, τὰ δ' ἐν ἀριστερᾷ Ἀραβίαν· ἡ μὲν οὖν Ἡλίου πόλις ἐν τῇ Ἀραβίᾳ ἐστίν, ἐν δὲ τῇ Λιβύῃ Κερκέσουρα πόλις κατὰ τὰς Εὐδόξου κειμένη σκοπάς ...ὁ δὲ νομὸς Λητοπολίτης οὗτος· ἀναπλεύσαντι δ' ἐστὶ Βαβυλών.

ومعنى النص: «يصل الانسان من هليوبوليس الى النيل عند قمة الدلتا. والاجزاء الواقعة على يمين القمة ونحن مبحرون جنوبا تسمى ليبيا وتتبعها الاجزاء التي حول الاسكندرية وبحيرة مريوط وأما الاجزاء الواقعة على اليسار فتسمى (صحراء) العرب. وعلى هذا تتبع هليوبوليس (صحراء) العرب. واما مدينة كركاسور الواقعة بالقرب من مرصد اودوكس فتتبع ليبيا ..... ونحن هنا فى مديرية ليتوبوليت واذا واصلنا الابحار جنوبا وصلنا الى بابيلون».

واذاً فهذا الكاتب يخبرنا فى صدر النص أن المسافر اذا اتجه من هليوبوليس الى النيل فانه يصله عند قمة الدلتا. وفى هذا اشارة — ولو انها غير صريحة — الى أن قمة الدلتا تقع تجاه هليوبوليس. ثم يخبرنا سترابون فى آخر النص بأن مدينة كركاسور تقع غرب النهر فى مديرية ليتوبوليت — وهى القسم الادارى الثانى من اقسام مصر السفلى — وأن هذه المدينة قريبة من مرصد أودوكس أي تجاهه لأن هذا المرصد كان يقع شرق النهر جنوب مدينة هليوبوليس. ولما كانت مسلة هليوبوليس تقع فى الوقت الحالي على بعد ٣٢٠٠ مترا شمال عرض الطرف الجنوبى لجزيرة الوراق كما أن المسلة لم تكن كل شيء في المدينة بل كانت المدينة عظيمة الامتداد ولا شك أن جزءاً من امتدادها كان جنوب المسلة ثم بعد ذلك كان

(1) Strabo, 17.30.

المرصد جنوب المدينة فان هذا يرجع وضع المرصد — وبالتالي وضع كركاسور — تجاه الطرف الجنوبي لجزيرة الوراق الحالية وبهذا يمكن القول أن قمة الدلتا ونقطة تفرع النيل كانتا قبيل الميلاد عند هذا المكان(١)

ويعطينا سترابون المسافة بين منفيس وقمة الدلتا فيقول(٢)

Ἐγγὺς δὲ καὶ ἡ Μέμφις αὐτὴ τὸ Βασίλειον τῶν Αἰγυπτίων εἶσι γαρ ἀπὸ τοῦ Δέλτα τρίσχοινον εἰς αὐτήν.

ومعنى النص « ممفيس نفسها عاصمه المملكة المصرية قريبة أيضا منها (من بابيلون) لأن المسافة اليها من الدلتا ثلاث شوينات فقط »(٣)

وكذلك يعين لنا بلينيوس المسافة بين ممفيس وقمة الدلتا فيقول(٤)

unde (Memphis) ad Hammonis oraculum XII dierum est, ad scissuram autem Zili, quod appellavimus Delta, XV.

ومعنى النص «من ممفيس الى واحة آمون مسيرة اثنى عشر يوما ومنها (منفيس) الى النقطة التي يتفرع عندها النيل ويكون ما سميناه الدلتا مسافة خمسة عشر»(٥)

وأما بطليموس الجغرافى فيذكر ان المسافة بين ممفيس وقمة الدلتا عشر دقائق عرضية أي حوالى عشرين كيلو مترا (٦)

(1) Prince Omar Toussoun, *Mémoire sur l'Histoire du Nil*, t. I. p. 139-140.

(2) Strabo, 17.31.

(٣) الشوين عند سترابون تساوى ٨٦٥٢ مترا

(4) Plinius, *Hist. Nat.*, V, IV.

(٥) لم يذكر بلينى فى نصه تمييز هذه الخمسة عشر. وقد فهم مترجم طبعة لويب هذه الجملة خطأ فقال فى ترجمته لها أن المسافة من منفيس الى نقطة تفرع النيل مسيرة خمسة عشر يوما وهو تفسير مستحيل وصحته خمسة عشر ميلا رومانيا ويستحسن أن يثبت فى النص اللاتينى علامة الميل الرومانى بعد الرقم ١٥ منعا لهذا اللبس وكان الميل الروماني فى عهد بلينى يساوى ١٤٨٢ مترا

(٦) الدرجة العرضية عند بطليموس تساوي ١٢٣ كم

وهكذا نرى أن سترابون يعطى للمسافة بين ممفيس ورأس الدلتا ثلاثة شوينات (٢٦ كم تقريبا) وأن بليني يعطى للمسافة بين هاتين النقطتين ١٥ ميلا رومانيا (٢٢ كم تقريبا) وأن بطليموس يعطى لنفس المسافة عشر دقائق عرضية (٢٠ كم تقريبا) . وتدل أرقام هؤلاء الكتاب فى مجموعها على أن رأس الدلتا تقدم نحو الشمال وأنه كان فى القرون الاخيرة قبل الميلاد وفى القرون الاولى بعده شمال القاهرة الحالية أى عند روض الفرج لان المسافة بين ميت رهينة (قلب ممفيس) وبين روض الفرج حوالى ٢٥ كم

وترجح الظروف الطبيعية وضع رأس الدلتا فى هذه الفترة عند الطرف الجنوبى لجزيرة الوراق الحالية (١) لان هذه الجزيرة عظيمة المساحة وتدل حالتها على أنها كانت يوما ما متصلة بقلب الدلتا من طرفها الشمالى بحيث تكون شبه جزيرة يتفرع النهر عند طرفها الجنوبي الى فرعيه البلوزى والكانوبي . ويتفق مظهرها في هذه الحالة مع مظهر قمة الدلتا الحالية حيث يتفرع الفرعان دمياط ورشيد عند الطرف الجنوبي لجزيرة الشعير .

فاذا ما انتقلنا الى العصر العربى نجد ابن عبد الحكم المتوفي سنة ٢٥٧هـ (٨٧١م) يتحدث عن النيل فيقول (٢) «وكانت الجنات بحافتى النيل من أوله الى آخره فى الجانبين جميعا مابين اسوان ورشيد وسبع خلج خليج الاسكندرية وخليج سخا وخليج دمياط وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنها وخليج سردوس » فهذا

(1) Prince Omar Toussoun, *Mémoire sur les anciennes branches du Nil, Epoque Ancienne*, dans Mémoires présentés à l'Institut d'Egypte, t. IV, premier fascicule 1922, p. 9 et pl. 4 and 5.

(٢) ابن عبد الحكم ـ فتوح مصر وأخبارها ص ٦ ـ ٧ طبعة Torrey ليدن سنة ١٩٢٠م

الكاتب يعدد لنا خلجان النيل أى فروعه ويسمى كل فرع اما باسم البلدة التى يخرج عندها من النيل أو باسم البلدة التي ينتهى عندها فى البحر أو فى بحيرة قارون فاما خليجا المنها والفيوم فلا شأن لنا بهما عند بحث قمة الدلتا ويكفى أن نذكر أن ابن عبد الحكم ينسب حفرها الى يوسف عليه السلام . وكذلك لاتفيدنا خلج الاسكندرية وسخا ودمياط فى تعيين موضع هذه القمة لانه سماها باسماء مصباتها ويبقى بعد ذلك خليجا منف وسردوس فأما خليج منف فانه يشير الى موضع رأس الدلتا القديم عند المدينة السماة بهذا الاسم ومن المرجح أن هذا الفرع لم يكن يجرى في العصر العربي وانما كانت آثار مجراه مازالت ظاهرة في ذلك العصر . ويبقى لدينا بعد ذلك خليج سردوس الذي كان يخرج من النيل الرئيسى عند البلدة السماة بهذا الاسم بجوار باسوس الحالية وتجاه الطرف الشمالى لشبه جزيرة الوراق حيث تخرج من النيل فى الوقت الحالى ترعة ابو المنجا التى تمثل مجرى فرع سردوس القديم

ومع أن ابن عبد الحكم لم يشر فى هذا النص صراحة الى أن قمة الدلتا كانت تقع عند بلدة سردوس الا ان هذه البلدة كانت أقصى البلدان الواقعة جنوب الدلتا مباشرة التي ذكر هذا الكاتب أن فرعا يخرج من النيل عندها دون أن يكون هناك شك فى جريان هذا الفرع فى عهده . ثم كانت تخرج من النيل شمال هذه البلدة سائر فروعه فى العصر العربى كدمياط وسخا ورشيد ومن هنا يمكن القول أن قمة الدلتا فى القرون الاولى من العصر العربى كانت حول هذه البلدة ومعني هذا ان كلا الموضعين جنوب جزيرة الوراق وشمالها يعينان قمة الدلتا القديمة وانما في عصرين مختلفين الاولى فى القرون الاولى من الميلاد والثانيه في القرون الاولى من الهجرة .

بعد ذلك نجد كاتبا يسمى ابن سيرابيون(١) — كتب بعد ابن الحكم بسنوات قليلة — يعين موضع قمة الدلتا عند سردوس أيضا ولكنه يضيف معلومات جديدة الى ما ذكره ابن عبد الحكم وذلك أنه لفت النظر الى أن قمة الدلتا تتقدم نحو الشمال باستمرار وسجل لنا ثلاثة مواقع لهذه القمة الاول عند الطرف الجنوبى لجزيرة الوراق والثاني عند سردوس أى عند الطرف الشمالى لهذه الجزيرة والثالث عند شطانوف .

ولا يمكن أن يفهم حديث ابن سيرابيون عن القمة الاولى الواقعة عند الطرف الجنوبى لجزيرة الوراق الا على أنه تصوير للحالة التى كانت قائمة قبل عهده في العصر اليوناني الروماني وذلك لان كتاب العرب السابقين لابن سيرابيون مثل ابن عبد الحكم لا يذكرون الا قمة سردوس . وأما حديث ابن سيرابيون عن قمتي سردوس وشطانوف فيمكن أن يفهم على أنه تصوير صادق للحالة القائمة فى عهده أى أن كان للدلتا في ذلك العهد قمتان ، قمة رئيسية عند سردوس وقمة ثانويه أو مشروع قمة عند شطانوف (انظر شكل ٤) .

---

(١) هو يحيى بن سيرابيون — وقيل يوحنا بن سيرافيون — كان طبيبا وجغرافيا توفى بعد المتوكل وقبل البويهيين أى بعد عامي ٢٨٩ ، ٣٣٤ هـ. كتب بالسريانية كتابيه في الطب الكناش الكبير والكناش الصغير وقد نقلا الى العربية. وأما مخطوطه في الجغرافيه فمحفوظ بالمتحف البريطاني تحت رقم ٢٣٣٧٩ (محفوظات المتحف البريطاني جـ ٢ ص ٦٠٣).

انظر

(a) Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur* I.227 and 233.

(b) Brockelmann, *Geschichte der Arabischen Litteratur*, Erster Supplementband p. 406. Leiden 1937.

(c) Omar Toussoun, *Mémoire sur l'Histoire du Nil*, t. 1. p. 143.

وانظر ايضا

(ا) الفهرست لابن النديم طبعة أوروبا ص ٢٩٦ وطبعة مصر ص ٤١٢

(ب) طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة جـ ١ ص ١٠٩ طبعة القاهرة سنة ١٨٨٢م

(جـ) كتاب اخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطي ص ٢٤٨ طبعة القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ

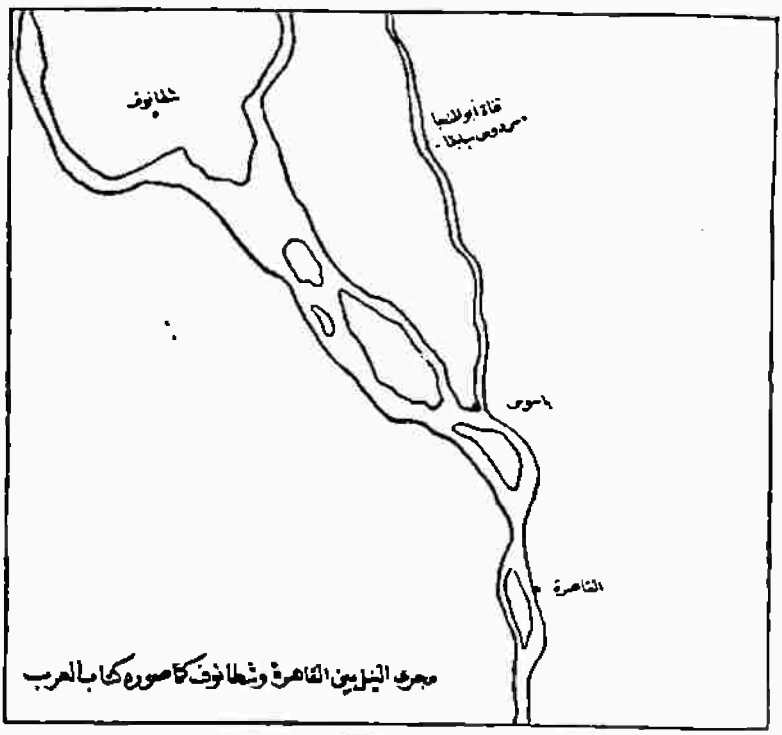

شكل ■ (٦)

وقد كتب ابن حوقل بعد ابن سيرابيون بقرن واحد فلم يذكر لنا الا قمة واحدة هى شطانوف فهل معني هذا أنه فى الفترة الفاصلة بين الكاتبين تضاءل شأن قمة سردوس وأصبحت شطانوف الواقعة فى شمالها هى القمة الرئيسية للدلتا ؟

أما أن قمة سردوس تضاءل شأنها فهذا ثابت من أقوال عدة كتاب فبينما يصف ابن سيرابيون فرع سردوس الخارج أمام هذه القمة بالعظم والضخامة نجد القلقشندى يخبرنا أن فرع سردوس تضاءل شأنه — نتيجة لتراجع الدلتا دون شك — وأن قناة أبو المنجا حفرت لكي تحل محله وفي ذلك يقول القلقشندى أن ابن الاثير قال في كتابه عجائب المخلوقات أن خليج السردوس أو السردوسى كان أحد نزهات الدنيا يسار فيه بين بساتين مشتبكة وأشجار ملتفه وفواكه دانيه فقلت —

القلقشندي — « أما الان فقد ذهب ذلك وبطل الخليج وعوض عنه ببحر أبي المنجا » (١)

وبناء على المعلومات المستمدة من كتاب العرب تكون قمه سردوس قد تضاءل شأنها ابتداء من منتصف القرن الرابع الهجري (آخر العاشر الميلادي) وتضاءل تبعا لذلك شأن فرع سردوس الذي كان يروي جزءا هاما من شرق الدلتا مما الجأ السكان الى المطالبة بحفر قناة تحل محل هذا الفرع وتسير في مجراه فتم لهم ما طلبوا سنه ٥٠٦ هـ (١١١٣)م (٢)

وأما أن قمه شطانوف أصبحت هي القمه الرئيسيه للدلتا منذ ذلك الوقت فهذا ثابت من قول الادريسى والقلقشندى . فقد حدثنا الادريسي المتوفي سنه ٥٤٨ هـ (١١٥٣م) فقال (٣) « وفي أعلا شنطوف (شطنوف) ينقسم النيل على قسمين فينزلان الى اسفل ويتصلان بالبحر » وكذلك حدثنا القلقشندي عن قمه الدلتا وتفرع النيل فقال (٤) « ثم يأخذ النيل فى الشمال حتي ينتهى الى مدينه الفسطاط ويمتد فى جهه الشمال أيضا حتى يصير بالقرب من قرية تسمى شطنوف (٥) من قرى مصر من عمل منوف(٦) فيفترق بفرقتين فرقه شرقيه وفرقته غربيه .....»

(١) القلقشندي :صبح الأعشي فى صناعة الانشا جزء ٣ ص ٣٠٠ طبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣٨

(٢) القلقشندي : صبح الأعشي فى صناعة الانشا جزء ٣ ص ٣٠١ـ٣٠٢ طبعة دار الكتب بالقاهرة سنة ١٩٣٨

وانظر ايضا المقريزي خطط جزء ١ ص ١١٣ ـ ١١٥ طبعة مطبعة النيل بالقاهرة سنة ١٩٢٤ هـ

(٣) الادريس . نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق ص ١٤٨ـ١٤٩ طبعة ليدن سنة ١٨٦٤

(٤) القلقشندي . صبح الأعشى ج ٣ ص ٢٨٧ـ٢٨٨

(٥) شطنوف كما ذكر ياقوت وشطنوف كما ذكر صاحب القاموس

(٦) أي في مديرية المنوفية

وهكذا نري كتاب العرب بين القرنين الرابع والتاسع الهجريين (العاشر والخامس عشر الميلاديين) مجمعين على أن قمه الدلتا كانت عند شطنوف الواقعه شمال القمه الحاليه بحوالى عشرة كيلومترات . ومعنى هذا أنها تراجعت نحو الجنوب بهذا المقدار منذ القرن الخامس عشر الميلادي حتى الوقت الحاضر

التفسير الطبيعى لتراجع قمة الدلتا:

تبين الخريطه الموضحه في شكل (٥) مجرى نهر النيل بين القاهرة وشطنوف كما هو فى الوقت الحاضر وفيها تظهر جزيرة الوراق وجزيرة القيراطين ثم شبه جزيرة

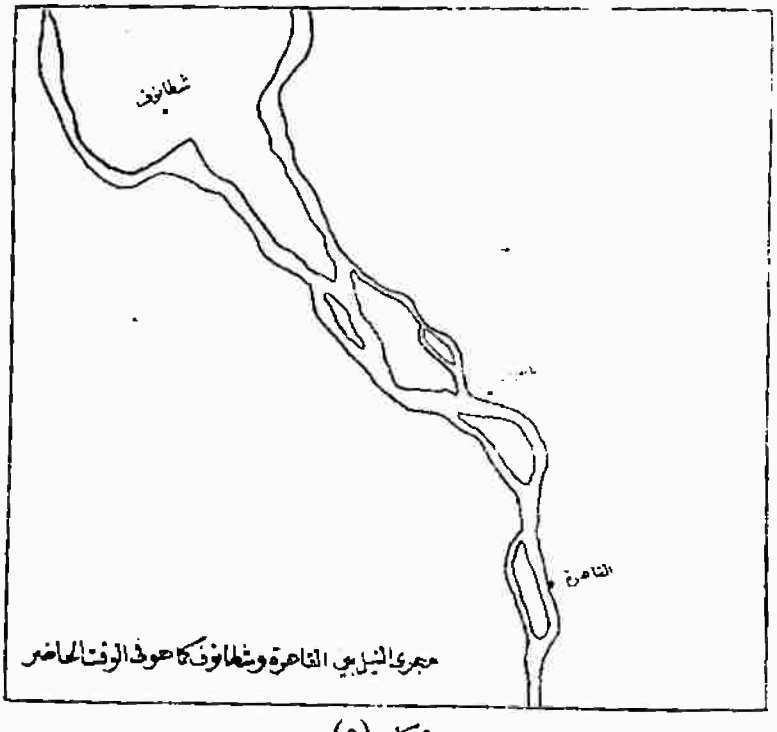

شكل (٥)

الشعير . كما تبين الخريطه الموضحه فى شكل (٦) هذا الجزء من مجرى النيل كما صوره كتاب العرب وفيه تظهر قمه الدلتا عند شطنوف . وأما الجزء

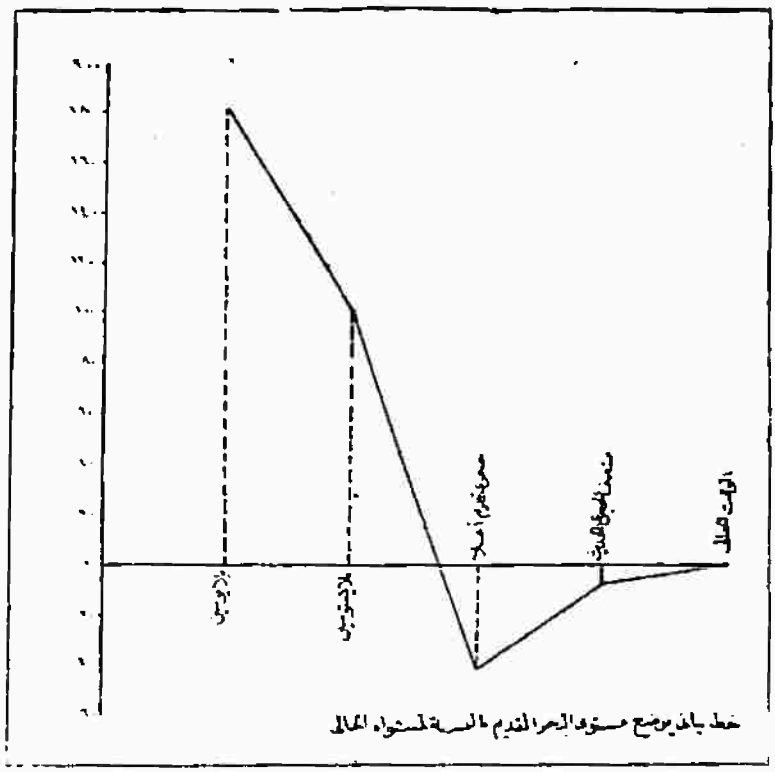

شكل ■ (٣)

الذى يلي هذه القرية جنوبا فلم يكن فى العصر العربي متصلا بالدلتا كما هو فى الوقت الحاضر وانما كان جزيرة يتفرع النيل عند طرفها الشمالي الي فرعيه الشرقى والغربي علي نحو ما حدثنا الادريس والقلقشندى ثم بسبب ارساب النهر ردم الفاصل المائي بين هذه الجزيرة وبين قمة الدلتا فتحولت الجزيرة الى شبه جزيرة واصبحت جزءاً من الدلتا ونتيجة لهذا تراجعت القمة نحو الجنوب وأصبح تفرع النهر جنوب شبه جزيرة شطنوف وشمال جزيرة الشعير كما هو مبين فى شكل (٧)

ومما يقطع بصحة هذا التفسير تكرر هذه الظاهرة فى السنوات الاخيرة فالصورات الحديثة التى تخرجها مصلحة المساحة المصرية أصبحت تطلق منذ سنة ١٩٢٥

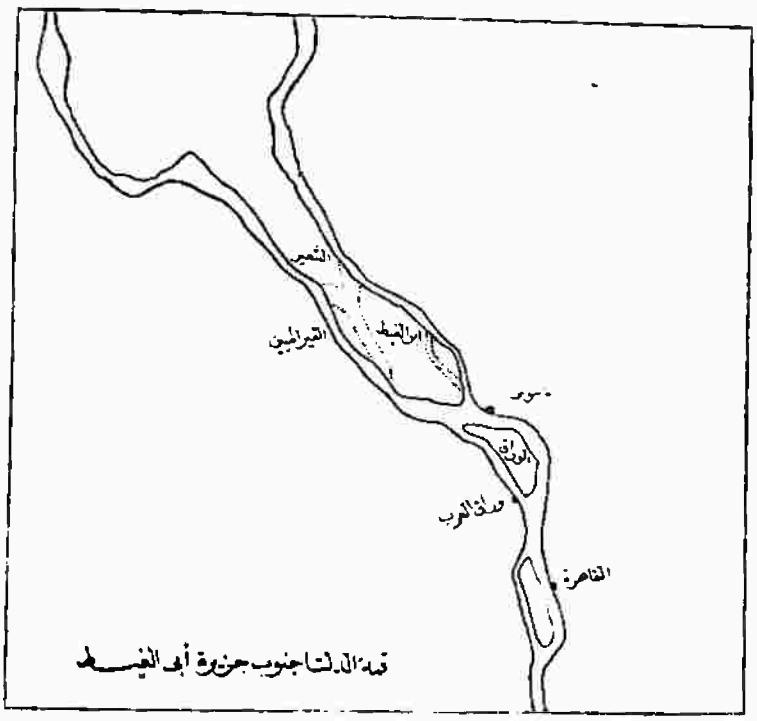

شكل (٨)

علي جزيرة الشعير اسم شبه جزيرة الشعير(١) وذلك لان الفاصل المائى الذى كان بينها وبين شبه جزيرة شطنوف مليء بالرواسب فتراجعت قمة الدلتا وقطه تفرع النهر الى جنوب هـذه الجزيرة التي تحولت الى شبه جزيرة وأصبحت جزءا متصلا بالدلتا الاصلية .

ونحن ننتظر علي هذا القياس أنه بعد عدد من السنين — لا نستطيع تقديره — سيمتلىء الفاصل المائى الذى بين شبه جزيرة الشعير وبين جزيرة القيراطين والذى

(١) انظر اللوحة $\frac{٨٠}{٦٠}$ مقياس $\frac{١}{١٠٠٠٠٠}$ وهي اللوحة المسماة «القاهرة» التى أصدرتها مصلحة المساحة المصرية سنة ١٩٤٠ بناء على عملية مسح الارض سنة ١٩٢٥

بينها وبين جزيرة ابو الغيط وبذلك تتحول احدى هذين الجزيرتين الى شبه جزيرة وتصبح جزءا من الدلتا الاصليه وتصبح قمه الدلتا وقطه تفرع النهر فى جنوبها كما هو مبين في شكل (٨) وبذلك تعود قمة الدلتاالى شمال جزيرة الوراق أى انها تعود لموضعها الذى كانت فيه فى القرون الاولى من الهجرة عند سردوس (تجاه باسوس) كما حدثنا بذلك ابن عبد الحكم وابن سيرابيون.

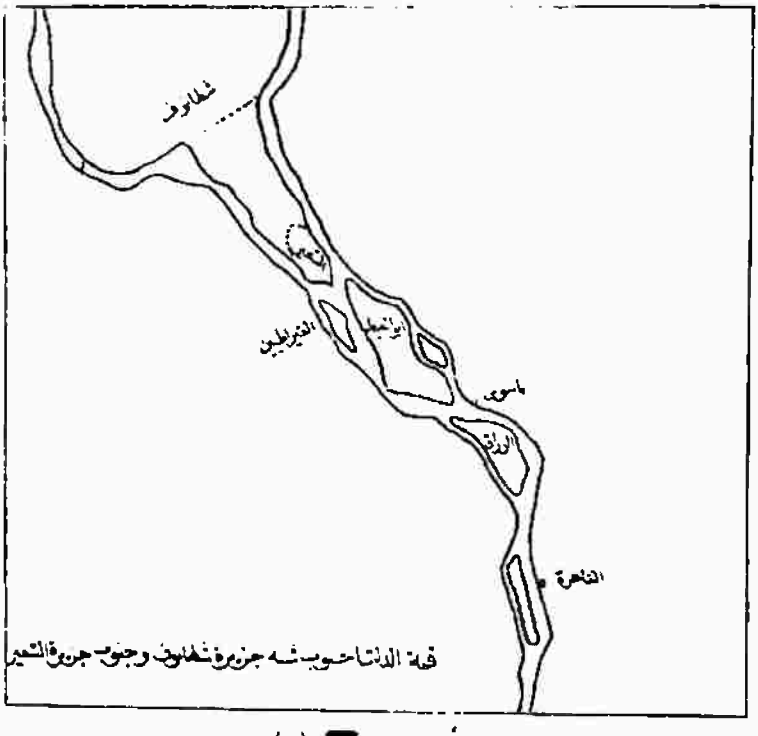

شكل (٧)

بل نتوقع أيضا أن يمتلىء الفاصل المائي بين جزيرة أبو الغيط بعد تحولها الى شبه جزيرة وبين جزيرة الوراق وبذلك تعود قمه الدلتا الى موضعها جنوب جزيرة الوراق وهو الموضع الذى حدثنا عنه هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد.

ولا تسمح طبيعه النهر فى الوقت الحاضر جنوب جزيرة الوراق بتوقع تراجع قمه الدلتا بعد ذلك لان المسافه طويلة بين الطرف الجنوبي لجزيرة الوراق وبين الطرف الشمالي لجزيرة الزمالك ثم ان مجرى النهر فى هـذه المسافه ضيق ومستقيم . وهذان العاملان — ضيق المجرى واستقامته — يجعلان التيار سريعا لا يسمح بالارساب ولا بتكوين الجزر يضاف الى هذا أن الأعمال الصناعيه الحديثه من جسور وقناطر وخزانات قللت من كميه الرواسب التي يحملها النهر.

وخلاصه الرأي فى قمه الدلتا أنها مرت في دورين :

الدور الاول : دور تقدم نحو الشمال بدأ منذ تكونها في منطقه ممفيس فى أوائل عصر البليستوسين الجيولوجى وقبل العصر البشري المسمى بالحجر القديم الاسفل . وقد استمر هذا التقدم خلال العصور البشرية الحجرية والتاريخيه حتى انتهى فى القرن الخامس عشر الميلادى (التاسع الهجري) اذ اصبحت قمه الدلتا عند شطنوف.

الدور الثانى : دور تراجع نحو الجنوب بدأ من القرن الخامس عشر الميلادى حتى الوقت الحاضر اذ اصبحت قمـه الدلتا جنوب شبه جزيرة الشعير وما زال هذا الدور مستمراً.